

مرويات السيدة الزهراء (عليها السلام) التفسيرية – تفسير الثعلبي انموذجاً –

م.د. منتظر فاضل طاهر

م.د. عبد الله علي هاشم

أستاذ في كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة

Lady al Zahra (PBUH) in Al-Thalabi Exegesis

Lect PhD. Muntadhar Fadhil Tahir

Lect PhD. Abdullah Ali Hashim

Instructors at Al Imam Al-Kadhim University College for Islamic Sciences

Abstract: This research examines the role of Lady Fatima al-Zahra (PBUH) in the exegesis of Al-Thalabi. It aims to elucidate her status and virtues in Al-Thalabi commentary through an analysis of the Quranic verses and narrations he cited concerning her. The research is divided into three sections. The first section explores the position of Lady Fatima al-Zahra (PBUH) in the Holy Quran. The second section discusses the sanctity of Lady Fatima al-Zahra (PBUH) and the virtues of her blessed household. The third section addresses events and situations related to Lady Fatima al-Zahra (PBUH), such as the issue of Fadak. The study also highlights the most prominent narrations that demonstrate the radiant light of Lady Fatima al-Zahra (PBUH) and the Ahlulbayt (peace be upon them), their dignity, sanctity, and exalted status in this world and the hereafter.

المستخلص : يتناول البحث موضوع السيدة الزهراء عليها السلام في تفسير الثعلبي حيث ان البحث يهدف الى بيان مكانة وفضل السيدة الزهراء عليها السلام في تفسير الثعلبي وذلك من خلال تحليل الآيات القرآنية والروايات التي ذكرها المفسر في شأنها , وقد قسم البحث الى ثلاثة مباحث بين المبحث الاول مكانة الزهراء عليها السلام في القرآن الكريم , بينما ذكر في المبحث الثاني قداسة السيدة الزهراء عليها السلام وفضل بيتها المبارك , وأشار في المبحث الثالث الى المواقف والاحداث المرتبطة بالزهراء عليها السلام مثل قضية فدك , كما أظهرت الدراسة



Article history

Received: 10 / 7 / 2026

Accepted: 13 / 8 / 2026

Published : 30 / 9 / 2026

تواريخ البحث

تاريخ الاستلام: 10 / 7 / 2026

تاريخ القبول: 13 / 8 / 2026

تاريخ النشر: 30 / 9 / 2026

الكلمات المفتاحية العربية: الزهراء (عليها السلام), تفسير, الثعلبي, الكشف و البيان

Keywords : Al Zahra (PBUH), Exegesis, al-Thalabi, al Kashf wa al Bayan

© 2023 THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE



<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

Corresponding author:

M6418740@gmail.com

DOI : [10.61710/v10/i3/s8](https://doi.org/10.61710/v10/i3/s8)

أبرز الروايات التي بينت إشراق نور الزهراء عليها السلام وأهل البيت وكرامتهم وقداستهم ومنزلتهم العظيمة في الدنيا والآخرة .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الأمين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الميامين المنتجبين ، وبعد

يعد القرآن الكريم هو المرجع الأساسي الذي استمدت منه الأمة الإسلامية مفاهيمها وقيمها وعقائدها ، إذ حظي أهل بيت النبي الأكرم (عليهم السلام) بمكانة سامية ورفيعة في نصوصه المباركة وتقاسيره . لمنزلتهم العظيمة ولقربهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث كانت للسيدة فاطمة الزهراء مكانة بارزة لأنها نموذجاً فريداً للطهارة والعفة والاصطفاء الإلهي ، إذ ورد في شأنها الكثير من الروايات التي بينت فضلها ومنزلتها الرفيعة في الدنيا والآخرة ، وعمل المفسرون على بيان ما ورد في مكانة وفضل أهل البيت (عليهم السلام) عند تفسيرهم للآيات القرآنية المباركة ، من بينهم المفسر أحمد بن محمد الثعلبي في تفسيره المعروف : الكشف والبيان في تفسير القرآن المشهور بتفسير الثعلبي ، إذ ذكر فيه عدداً كبيراً من الروايات التفسيرية التي بينت وفصلت القول في فضائل أهل البيت (عليه السلام) ومكانتهم ، ومنها ما يرتبط بالسيدة الزهراء (عليها السلام) وبيتها المبارك ، لذا جاء البحث تحت عنوان : (السيدة الزهراء (عليها السلام) في تفسير الثعلبي) إذ يهدف البحث إلى بيان ما أورده الثعلبي في تفسيره حول السيدة الزهراء وذلك من خلال دراسة الآيات والروايات التي تبين فضها والكرامة الإلهية التي حظي بها بيت الزهراء (عليه السلام) ، وبيان الأحداث والمواقف التي وردت في كتب التفسير والمتعلقة بها .

مشكلة البحث : محاولة الإجابة عن التساؤل الرئيس الآتي: ما طبيعة الروايات والتفسيرات التي أوردها المفسر الثعلبي في تفسيره بشأن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام؟ وما الملامح التي يمكن من خلالها بيان مكانتها في ضوء تلك الروايات؟ وما الدلالات العقدية التي يمكن استخلاصها منها؟
منهجية البحث : اعتمد البحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال تتبع ما أورده المفسر عن السيدة الزهراء وأهل البيت (عليهم السلام) وبعدها عرض النصوص وتحليلها وبيان دلالتها ، ومن ثم دراستها ضمن السياق التفسيري من خلال الرجوع إلى بعض كتب التفسير والمصادر العلمية الأخرى .

إذ إن البحث أشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاث مباحث وخاتمة وهو كما يلي : **التمهيد :** الثعلبي اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ومنهجه في التفسير.

المبحث الأول : مكانة السيدة الزهراء (عليها السلام) في القرآن الكريم

المطلب الأول : الكرامة الإلهية في بيت الزهراء (عليها السلام)

المبحث الثاني : الأضحية بين يدي الزهراء عليها السلام بركات مغفرة تعم الأمة.

المطلب الثالث : أسباب النزول المتعلقة بالزهراء (عليها السلام) .

المبحث الثاني : قداسة السيدة الزهراء (عليها السلام) وفضل بيتها

المطلب الاول : بيت فاطمة الزهراء عليها السلام من أفضل البيوت بالذكر الإلهي.

المطلب الثاني : سر الإشراف في الجنان .

المطلب الثالث : قداسة الزهراء (عليها السلام) بين الطهارة الجسدية والاصطفاء الإلهي .

المبحث الثالث : مواقف وأحداث مرتبطة بالسيدة الزهراء (عليها السلام)

المطلب الاول : فدك في ضوء مطالبة الزهراء عليها السلام.

المطلب الثاني : آخر عهد النبي وأول لقائه بالزهراء عليها السلام .

المطلب الثالث : موقف الثعلبي من شمول علي وفاطمة والحسين (عليهم السلام) بأية التطهير .

التمهيد : الثعلبي اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ومنهجه في التفسير.

يعدّ أبو إسحاق الثعلبي من أعلام العلماء البارزين إذ تميّز بكونه مفسراً مقتدراً ومتبحراً في مختلف العلوم الأمر الذي جعل شخصيته محطّ اهتمام الباحثين والمؤلفين في حياته وبعد وفاته على حدّ سواء, وقد تناولته العديد من المصادر بالتراجم تفاوتت في طولها وقصرها واختلفت في طبيعة المعلومات التي عرضتها تبعاً لتنوّع اتجاهات الباحثين والمؤلفين وتباين ثقافتهم واهتماماتهم.

أولاً: اسمه:

تتفق المصادر التي تناولت شخصية أبي إسحاق الثعلبي على اسمه ونسبه ولقبه وكنيته فهو: أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الشافعي أبو إسحاق الثعلبي, ويُقال له أيضاً: الثعالبي المقرئ والمفسر والواعظ والأديب الإمام الحافظ العلامة، وهو من أهل نيسابور (الحموي، 1411هـ، صفحة 19).

وكانت نيسابور من أجلى مدن خراسان وأعظمها شأنًا إذ احتضنت عدداً كبيراً من العلماء البارزين في مختلف العلوم والمعارف, وقد جمع الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ البيهقي تاريخ علمائها في ثمانية مجلدات ضخمة (السمعاني، 1382هـ، صفحة 550).

ثانياً: كنيته:

تتفق جميع المصادر التي ترجمت على كنيته بـ(أبي إسحاق) إلا ما انفرد به الإمام السيوطي، إذ كناه بـ(أبي القاسم) (السيوطي ع.، 1396هـ، صفحة 46).

وتجدر الإشارة إلى أن خطأ قد وقع في كتاب الوفيات لابن قنفذ إذ قال: (أبو منصور الثعالبي صاحب التفسير: مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة)، وهو ما يُعدّ وهماً في تحديد الاسم (القسطنطيني، 1403هـ، صفحة 237).

وأبو منصور هو عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري الشاعر المتوفى سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وكان رأساً في النظم والنثر، ثم يُؤكّد أنّه غير الثعالبي عبد الرحمن بن محمد الجزائري صاحب كتاب: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المتوفى سنة (876هـ)؛ فذلك مغربي وهذا مشرقني نيسابوري (القسطنطيني، 1403هـ، صفحة 237).

ثالثاً: منهج الثعلبي في تفسيره:

سلك الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان منهج التفسير بالمأثور مع اشتماله على قدرٍ من الرأي والاجتهاد إلا أنّه أقرب إلى المنقول منه إلى المعقول، وقد امتلأ تفسيره بالقصص والأخبار خاصة في قصص الأنبياء وأخبار الأمم الماضية وما يتصل بالفتن والملاحم كما أورد كثيراً من الروايات المشتمة على العجائب والغرائب التي لا يعضدها نقلٌ صحيح ولا يقبلها عقلٌ سليم، وغالباً ما يوردها دون تعقيبٍ بتصحيح أو تضعيف أو إبطال.

ولعلّ الثعلبي يُنسب إلى المدرسة المكية التي قامت على منهج التلقي والمشافهة المعتمد على الرواية إذ كان للمشاهدة والصحة والتلقي المباشر عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أثرٌ بالغ في تفاعل الصحابة مع هذا الدين تفاعلاً حياً رسّخ في قلوبهم إيماناً يقينياً وتجلى في سلوكهم عبادةً وخلقاً فكان علمهم أصدق وأوثق من كلّ علمٍ جاء بعدهم، وهذا هو المنهج السائد في المدرسة المدنية أيضاً حيث اعتمدت على المأثور عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

أمّا المدرسة العراقية فقد غلب عليها الاعتماد على الرأي والاجتهاد وهو ما يتجلى في تعدّد المسائل وتنوّع الآراء الخلافية فيها (يعقوب، 1475هـ، صفحة 957).

المبحث الأول

مكانة السيدة الزهراء (عليها السلام) في القرآن الكريم

المطلب الأول: الكرامة الإلهية في بيت الزهراء (عليها السلام)

في قوله تعالى "كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يُمَرِّمُ أَنَّي لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ" آل عمران: 37.

تروي بعض المصادر عن عبد الله بن حامد، بإسناده عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أقام أياماً لم يتناول فيها طعاماً، حتى شعر بذلك بالشقة، فطاف على منازل أزواجه فلم يجد

عند أي منهن شيئاً. ثم جاء إلى فاطمة (رضي الله عنها) سائلاً: "يا بنية هل عندك شيء آكل؟"، فأجابت: "لا والله بأبي أنت وأمي". وبعد خروجه، بعثت إليها جارتها برغيفين من الخبز وبعض اللحم، فأخذته ووضعت في جفنة وغطته، قائلة: "لأوثّر به رسول الله على نفسي ومن عندي"، وكان الجميع محتاجاً إلى طعام.

وعندما بعثت حسنا وحسينا إلى جدّهما النبي، أخبرت فاطمة (رضي الله عنها) بأن الله قد أرسل لهم رزقاً، فلما كشف النبي عن الجفنة، فوجئ بأنها مملوءة خبزاً ولحمًا، فبهتت فاطمة وعرفت أنها من بركة الله، فحمدت الله وصلّت على نبيه. فسأل النبي: "من أين لك هذا يا بنية؟"، فأجابت: "هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب" (آل عمران: 37).

ثم أكل رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع علي وفاطمة والحسن والحسين، وجميع أزواج النبي وأهل بيته، حتى شبعوا، وبقيت الجفنة كما هي، فأسدلت فاطمة من الطعام على جيرانها، فكان في ذلك بركة وخير" (الثعلبي، 1422هـ، الصفحات ج 3/ 57-58). وقد ذهب إلى هذا المعنى عدد من مفسري أهل السنة، كالزمخشري وابن كثير، حيث أكدوا أن هذه الرواية تُعدّ شاهداً عملياً على معنى الآية الكريمة، ودليلاً على قدرة الله تعالى في إنزال الرزق لمن يشاء بغير حساب، وبياناً لعنايته بعباده الصالحين، كما يظهر في كراماته التي يمنحها لهم خارج حدود الأسباب الظاهرة (الزمخشري، الطبعة: الثالثة 1407 هـ، صفحة ج 1/ 359). (الدمشقي، الطبعة: الثانية، 1420 هـ، صفحة ج 2/ 204)

والواضح من الرواية أن البركة الربانية ليس مجرد معجزة خارقة للعادة، بل صورة حية لقيم تربوية وإيمانية تتمثل بالإيثار واليقين في رزق الله تعالى. وموقف الزهراء عليها السلام في تقديم الطعام لوالدها وهي في أمس الحاجة له هي قمة في الإيثار وهذا لم يكن محض صدفة بل نتيجة صدق النية ونبل المقصد، ويتبين من خلال ذلك أن الرزق والبركة تدبير رباني يتجاوز الأسباب المادية، وهو نتيجة ارتباط وعلاقة روحية صحيحة بين العبد وربّه.

المبحث الثاني: الأضحية بين يدي الزهراء عليها السلام بركات مغفرة تعم الأمة.

«ورد في تفسير الثعلبي حول تفسير قوله تعالى: "لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ" (الأنعام: 162)، رواية عن سعيد بن جبيرة عن عمران بن حصين (رضي الله عنه)، مفادها أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لفاطمة (عليها السلام): «قومي فاشهدي أضحيتك، فإنها تغفر لك بأول قطرة من دمها كل ذنب عملته، ثم قل: {إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ} إلى قوله: {الْمُسْلِمِينَ}». وعندما سأل عمران بن حصين: "هل هذا مخصوص لك ولأهل بيتك أم عام للمسلمين؟"، أجاب النبي (صلى الله عليه وآله): "بل للمسلمين عامة". (الثعلبي، 1422هـ، صفحة ج 4/ 212).

وقد نُقلت هذه الرواية بصيغة مختلفة أيضاً في كنز العمال "يا فاطمة، قومي واشهدي أضحيتك، أما إن لك بأول قطرة تقطر من دمها مغفرة لكل ذنب، أما إنه يجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها سبعين ضعفاً حتى توضع في ميزانك هي لآل محمد والناس عامة" (الهندي، 1405هـ، صفحة 192/10).
"ومنه : عن يزيد بن أبي حبيب قال : سألت عائشة عن لحوم الأضاحي ؟ فقالت : لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عنها ، ثم رخص فيها ، قدم علي بن أبي طالب عليه السلام من سفر فأتته امرأته فاطمة عليها السلام بلحم من ضحاياها ، فقال : أو لم ينه عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

قالت : إنه رخص فيها ، فدخل علي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن ذلك ؛ فقال له : كلها من ذي الحجة إلى ذي الحجة" (حنبل، الطبعة: الأولى، 1424هـ، صفحة 44/12)
يتضح مما تقدم لاهتمام بيت النبوة والشخصيات الموجودة فيه كالإمام أمير المؤمنين والسيدة الزهراء عليهما السلام بشعائر الأضحية وحرصهم على استئذان النبي في أمور العبادة مما يدل على الالتزام والامتثال التشريعي في حياتهم اليومية.

المطلب الثالث : أسباب النزول المتعلقة بالزهراء (عليها السلام)

أولاً: سبب نزول "يُؤْفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا" الإنسان : 7 .
ورد في حديث مطوّل عن ابن عباس في سبب نزول قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾، أن الحسن والحسين (عليهما السلام) مرضا، فنذر الإمام علي وفاطمة (عليهما السلام) صيام ثلاثة أيام شكراً لله عند شفائهما. وبعد أن تحققت العافية، شرعوا في الوفاء بالندى، رغم ما كانوا يعانونه من قلة في الزاد وشدة في الحال، غير أنهم آثروا به المحتاجين على أنفسهم.
وقد عبرت الرواية عن هذا المعنى بقولها: «فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح»، وهو تصوير يكشف بوضوح عن بلوغهم درجة رفيعة من الإيثار، القائم على تغليب حاجة الغير مع شدة الحاجة الذاتية.

ويورد قتادة بن مهران الباهلي في هذا الحديث: فوثب النبي عليه السلام حتى دخل على فاطمة فلما رأى ما بهم انكب عليهم يبكي، ثم قال: أنتم من منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافل عنكم، فهبط جبرائيل عليه السلام بهذه الآيات "إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا" الإنسان : 5، قال: هي عين في دار النبي (عليه السلام) تفجر إلى دور الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين.

"يُؤْفُونَ بِالْأَنْذَرِ" يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين وجاريته فضة "وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا" وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ يَقُولُ: على شهوتهم للطعام، وإيثارهم مسكيناً من مساكين المسلمين ویتیمای

من يتامى المسلمين، وأسيرا من أسارى المشركين، ويقولون إذا أطعموهم "إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا" قال: والله ما قالوا لهم هذا بالسنتهم، ولكنهم أضمره في نفوسهم، فأخبر الله سبحانه بإضمارهم يقولون: لا "نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا"، فيتمنون علينا به ولكننا أعطيناكم لوجه الله وطلب ثوابه قال الله سبحانه: "فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً" في الوجوه وسُرُورًا في القلوب وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً يَسْكُونُهَا وَحَرِيرًا يَلْبَسُونَهُ ويفترشونه. (الثعلبي، 1422هـ، الصفحات 99-102 ج10) وهناك من اعترض على تلك الرواية وقد وُجِّهت اعتراضات على هذا الحديث من عدد من علماء أهل السنة، فمنهم الترمذي الذي قال: "هذا حديث مزوق تطرف فيه صاحبه حتى يُشبهه على المستمعين، والجاهل يعرض على شفثيه تلهفًا، ولا يدري أن صاحب هذا الفعل مذموم. قال الله: "ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو"، وقال ﷺ: "خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بنفسك ثم بمن تعول"، وقال ﷺ: "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت".

أفيعقل أن علياً رضي الله عنه جهل ذلك، فأجهد صبيانه بالجوع ثلاثاً؟! هب أنه آثر السائل، أفيجوز أن يجوع أطفاله؟! لا يصدق هذا إلا حمقى جهال، وأكثره مفتعل". (الترمذي، 1431هـ، الصفحات 246-247)، وكذلك اعترض عليه ابن الجوزي، قائلاً: "فلم أر أن أطيل بذكر الحديث لركاكته وفظاعة ما حوى، وهذا حديث لا يُشك في وضعه، ولو لم يدل على ذلك إلا الأشعار الركيكة والأفعال التي يتتزه عنها أولئك السادة". (الجوزي، 1386هـ، الصفحات 391-392).

ويؤكد ابن تيمية هذا الاعتراض، فيقرر أن مجرد رواية الثعلبي والواحي وأمثالهما لا تدل على صحة الحديث باتفاق أهل السنة والشيعة، وإذا احتج بحديث رواه أحد هؤلاء دون بيان صحته، فلا يكون حجة باتفاق العلماء. ويبين أن هؤلاء يروون كثيراً مما لا يعرفون صحته، ومنه الإسرائيليات التي يُعلم بطلانها، لأنهم ينقلون ما نُقل أو يحكون أقوال الناس دون التزام التمييز، ويخلص إلى أن هذا الحديث من الكذب الموضوع باتفاق أئمة الحديث، وقولهم هو المعتمد في هذا الباب (الحنبلي، 1406، صفحة 178/7).

ومع ذلك، فقد وُجد من أهل السنة من أيد مضمون هذا الحديث، حيث نقل ابن طاووس كلام جميل، وأشار إلى مكانة الزمخشري، فقال: "وهذا الزمخشري من أزهدهم وأعلم علمائهم، ترك الدنيا عن قدرة وجاور مكة، وقد رواه عن ابن عباس خبر هذه الآية، وقوله حجة على المفسرين، ولا يجوز الطعن عليه أحد من المسلمين". (طاووس، 1399هـ، صفحة 110).

خلاصة القول

ذلك أن القرآن الكريم قد جعل الإحسان إلى الضعفاء والمحتاجين معياراً من أعظم معايير القرب من الله، بل شرطاً أساساً لتجاوز "العقبة" يوم القيامة، كما في قوله تعالى:

﴿قَلَّا افْتَحَمَ الْعُقْبَةَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ البلد: 11-16.

فالآية صريحة في بيان أن الإطعام - في وقت المجاعة - لليتيم القريب أو المسكين المنكوب هو عبورٌ للعقبة، وبلوغٌ لمرتبة الإيمان الصادق والعمل الصالح. وهل بعد هذا البيان من حاجة إلى تركية "المطعمين" أو تساؤل عن منزلتهم؟!

إن مفهوم الشرف في الإسلام لا يُقاس بالجاه أو الحسب، بل بما يُقدّمه الإنسان من بذل وتضحية وإنصاف للضعفاء. ومن أبلغ ما قيل في هذا المعنى، ما ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبته الشهيرة بآيوان المدائن، حيث قال:

"السيد من فعله جيد، والشريف من أنصف الضعيف"، وفيه تقرير واضح أن النبُل كل النبُل هو في الانتصار للضعفاء والمحرومين، لا في التقرب من أصحاب المكانة أو السلطة.

وزاد المفسرون بياناً حين قال مجاهد: "على حُبِّه" أي: يطعمونه وهم يشتهونه ويحتاجونه (الطبري، الطبعة: الأولى، 1422 هـ صفحة 543/23)، أي أنّ الفضل في الإطعام لم يكن عن وفرة أو فضل، بل عن حاجة، وهذا أبلغ في المروءة وأرفع في ميزان الإيثار.

إن البذل في حال الخصاصة، والإيثار على النفس في وقت الجوع، إنما هو ذروة الجود، وهو ما صدّقه القرآن في قوله تعالى: "وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ" الحشر: 9.

وعليه فإن هذا العمل - أي إطعام المسكين واليتيم والأسير في حال الجوع الشديد - ليس موضع طعن كما توهم المعترضون، بل هو في أعلى مراتب الكمال الأخلاقي والإيماني، وقد نزل في مدح أهله قرآن يُتلى، وخلّده التاريخ في سجلّ المفاخر الخالدة.

المبحث الثاني

(قداسة السيدة الزهراء (عليها السلام) وفضل بيتها)

المطلب الاول : بيت فاطمة الزهراء عليها السلام من أفضل البيوت بالذكر الإلهي

قال تعالى في محكم كتابه:

"فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرَفَّعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ" النور: 36.

ينقل أبو إسحاق الثعلبي عن أنس بن مالك وبريدة أن النبي ﷺ فسّر البيوت الواردة في الآية بأنها بيوت الأنبياء، مؤكداً مكانة بيت علي وفاطمة (عليهما السلام) بقوله: «نعم، من أفاضلها». (الثعلبي، 1422هـ، صفحة ج7/107).

وقد وردت هذه الرواية كذلك في تفسير الدر المنثور للسيوطي (السيوطي ع.، 1431هـ ، صفحة ج6/203) ، وفي روح المعاني للألوسي، حيث ختم تعليقه بقوله: (وهذا إن صح، لا ينبغي العدول عنه)

(الألوسي، 1415هـ، صفحة 367/9). وهذا التعبير يُفهم منه أن الألوسي يرى في الرواية قيمة ووجاهة، إن ثبتت صحتها.

ورغم ذلك، فقد تعقّب ابن تيمية الرواية، وطعن في حُجّة الثعلبي، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حين قال: "إنّ علماء الجمهور متفقون على أن ما يرويه الثعلبي وأمثاله لا يُحتجّ به" (الحنبلي، 1406، صفحة 90/7).

إلا أن هذا الطعن لا يصمد أمام واقع الرواية، إذ إنها لم ترد في تفسير الثعلبي وحده، بل نقلها غيره من كبار المفسرين، ما يعزز من مكانتها. ومع ذلك، فإن ورودها في تفسير الثعلبي وحده يكفي في مقام الاحتجاج، لأنه من كبار مفسري أهل السنة المتقدمين، والاحتجاج بأقواله إلزام للخصم بما يقرّ به. وقد علّق الشيخ محمد حسين المظفر على الآية، مبيناً أن قوله تعالى: "في بيوت" مرتبط بما سبق من تشبيه النور الإلهي بـ(المشكاة)، كما هو ظاهر السياق ووافق عليه أكثر المفسرين. وبين أن تفسير "المشكاة" بكونها في "بيوت الأنبياء" لا يُفهم منه مجرد تعظيم النور الظاهري، بل المقصود منه تعظيم النور المعنوي، ولهذا ينبغي أن تُفهم المشكاة بأنها فاطمة الزهراء عليها السلام، كما في رواية ابن المغازلي (المغازلي، 1424هـ، صفحة 382).

وهكذا يتضح أن معنى الآية: أن مثل نوره تعالى، هو كفاطمة عليها السلام، العالمة المنيرة، التي تتلأأ بنور الحسن والحسين، ويزداد نورها بأئمة الهدى من ذريتها (المظفر، 1380هـ صفحة 347). ومن هنا نفهم قول النبي ﷺ إن بيت علي وفاطمة من بيوت الأنبياء، لأنه بيت النبوة والوحي، وهو بيته هو ﷺ، فحجابه حجاب النبي، وحجاب النبي حجاب الله.

وبذلك، تشمل هذه الروايات بوضوح علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، بل وجميع أولاد فاطمة من نسل الحسين، أي الأئمة المعصومين عليهم السلام، فهم الامتداد الطبيعي لنور الله في الأرض، والحفاظة المستمرة لرسالته، وهم من أفضل الخلق بعد الأنبياء، يسرون على نهجهم، ويحملون نورهم، بل هم أهل بيتٍ خصّه الله بالفضيلة، وجعل لهم من القداسة ما جعل لبيته الحرام والمشاعر العظام. إنه بيتٌ لا تطاله يد الشيطان، ولا يقترب منه الرجس، بل بيتٌ يتلأأ منه نور الله دائماً، ولا يسكنه إلا من طهرهم الله تطهيراً، فهم كالأنبياء، بل من أفضل بيوتهم.

المطلب الثاني : سر الإشراق في الجنان

ورد في تفسير قوله تعالى:

"مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا" . الإنسان: 13 ما رواه ابن عباس، في مشهدٍ مهيبٍ من مشاهد النعيم الآخروي، حيث يُعاجأ أهل الجنة بنور عظيم قد أضاء أرجاءها، فأشعّ

بهاؤه كضوء الشمس، رغم أنّ الجنة لا شمس فيها ولا قمر. فيتساءل أهلها في دهشة: "يا رضوان، ما هذا النور؟ وقد وعدنا ربنا ألا نرى فيها شمسًا ولا زمهريرًا؟"

فيأتيهم الجواب مملوءًا بالعجب والسرور:

"ليست هذه بشمس ولا قمر، إنما هو نورٌ من فاطمة وعليّ ضحكا، فأشرقت الجنان من بهاء ضحكهما". (الثعلبي، 1422هـ، صفحة ج10/102) (القرطبي، الطبعة: الثانية، 1384 هـ، صفحة 19/138) (الألوسي، 1415هـ، صفحة 15/157)

ويُتَمَّم المشهد الروحي الجليل بما أنزله الله تعالى في شأنهما: "هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ... وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا". الإنسان: 1-22. وكأنّ هذا النور السماوي هو ثمرة ذلك السعي المبارك، وذلك العطاء الخالص الذي خُلد في كتاب الله العزيز.

وفي المعنى ذاته، جاء عن أنس بن مالك أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله تعالى: "وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ". عبس: 38-39، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

"يا أنس، هي وجوهنا نحن بني عبد المطلب: أنا، وعليّ، وحمة، وجعفر، والحسن، والحسين، وفاطمة، نخرج من قبورنا ونور وجوهنا كالشمس الضاحية". (الحسكاني، 1411هـ، صفحة ج2/423).

وهكذا تتكامل صورتان، فالوجوه الضاحكة في يوم القيامة هي ذاتها التي تُشرق منها الجنان في دار الخلود. نورهم لا يُشبه نور الدنيا، بل هو نورٌ إلهي، صافٍ، نقي، يعكس ما وُضع في قلوبهم من الإيمان، وما قدّموه من بذل وتضحية، وما نالوه من مقام القرب والرضا. إنها إشراقات النور من أرواح أشرقت لله، فأشرقت بهم الجنان، وتلألأت بهم عرصات القيامة.

المطلب الثالث: قداسة الزهراء (عليها السلام) بين الطهارة الجسدية والاصطفاء الإلهي

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا غَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا". النساء: 43.

قد وردت هذه الآية في تفسير الثعلبي ضمن سياق بيان الأحكام المتعلقة بدخول الجنب والحائض إلى المساجد، حيث تقضي الآية بمنعهم من ذلك إلا عند الضرورة، كمرور عابر.

غير أن الروايات الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والمروية في مصادر معتبرة عند الفريقين، كشفت عن وجود استثناء خاص لأهل البيت (عليهم السلام) من هذا الحكم، مما يدل على مقامهم الفريد وطهارتهم الاستثنائية.

فقد روت أم سلمة أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: "ألا إنّ مسجدي حرام على كلّ حائض من النساء، وعلى كلّ جنب من الرجال، إلا على محمد وأهل بيته: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين".

(الثعلبي، 1422هـ، صفحة 3/313)

وفي رواية أخرى، يبين النبي ﷺ خصوصية أهل البيت (عليهم السلام) في بعض الأحكام، حيث استثناهم من حكم عام، كما ورد في قوله: "لا يحلّ هذا المسجد لجنب ولا لحائض إلا لرسول الله، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين". ويكشف هذا الاستثناء عن منزلة خاصة لهم وارتباط متميز بالمقام النبوي. (البيهقي، 1424هـ، صفحة 7/104 برقم ١٣٤٠٠).

كما ورد في الدر المنثور، عن أبي رافع أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: "إن الله أمر موسى وهارون أن لا يبيت في مسجدهما جنب، و لا يقرب النساء إلا هارون وذريته، وإنه لا يحل لأحد أن يبيت في مسجدي جنب، ولا يقرب النساء إلا علي وذريته". (السيوطي ع.، 1431هـ، صفحة 4/438) وقد أورد هذه الروايات أيضاً المتقي الهندي في كنز العمال (الهندي، 1405هـ، صفحة 12/101) مما يزيد من تواترها ويعزز حجيتها.

وتُعدّ هذه الخصوصية امتداداً لآية التطهير: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً". الأحزاب: 33. التي تؤكد طهارة أهل البيت (عليهم السلام) من كل رجس، وتدل على اصطفايتهم المطلق.

ومن مظاهر هذه الطهارة الفريدة، ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله): "إن فاطمة (عليها السلام) ليست كأحد منكن، إنها لا ترى دمًا في حيض ولا نفاس، كالحورية". (القمي، صفحة 121). وقد يُشكل على هذا الحديث ما روي من أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يأمر فاطمة (عليها السلام) بقضاء الصوم دون الصلاة، كما هو شأن النساء في حال الحيض، إلا أن هذا يمكن فهمه في إطار تعليم الحكم الشرعي لعامة النساء، لا أنه ينطبق عليها حقيقةً، لما ثبت من طهارتها الخاصة وخروجها عن دائرة التكليف في هذا الباب.

وتتجلى هذه الطهارة أيضاً في لحظة وفاتها، حيث أوصت أن لا يكشفها أحد، وأن تُدفن بعد أن تغتسل وهي حية، في خروج واضح عن الحكم الفقهي المعروف بوجوب غسل الميت.

فقد روت أم سلمة (رضي الله عنها): "اشتكت فاطمة مرضها الذي قبضت فيه، فكنت أمرضها. وفي يوم رأيته بأفضل حال، فقالت: يا أمة، اسكبي لي غسلاً. فاعتسلت، ولبست ثيابها الجديدة، ثم اضطجعت، واستقبلت القبلة، وقالت: يا أمة، إني مقبوضة الآن وقد تطهرت، فلا يكشفني أحد. فقبضت في مكانها" (حنبل، الطبعة: الأولى، 1424هـ، صفحة 45/588).

وقد نقل هذا المعنى صاحب كشف الغمة، مشيراً إلى أن الفقهاء لا يجيزون دفن الميت دون غسل، إلا أن خصوصية فاطمة (عليها السلام) تجعل من هذا الاستثناء دليلاً آخر على طهارتها الجسدية والمعنوية. (الأربلي، صفحة 125).

مما يُستأنس به في هذا السياق ما نُقل عن أبي عبد الله (عليه السلام)، إذ سُئل: هل اغتسل علي (عليه السلام) عند تولّيه غسل رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فأجاب بأن النبي طاهرٌ مطهرٌ، غير أنّ علياً (عليه السلام) قد اغتسل، وجرت بذلك السنة". (الطوسي، صفحة 1/519).

فكما أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) لم يكن بحاجة إلى غسل بعد وفاته لطهارته الذاتية، فإن الزهراء (عليها السلام) تماثله في هذا الشأن، فاستثنى جسدها الشريف من أحكام النجاسة والموت، وكانت وصيتها بدفنها دون أن يكشفها أحد، شاهدة على مقامها القدسي ومكانتها الفريدة في عالم الطهارة والاصطفاء.

وقد أُشير في كلمات العلامة الأنصاري إلى بيان وجه طهارة أهل البيت (عليهم السلام)، بمن فيهم السيدة فاطمة (عليها السلام)، حيث يُفهم من كلامه أن منشأ النجاسة يرتبط بالجهة النفسانية، وهذه الجهة منتفية عن تلك الأنوار القدسية بنحو تام. وعليه، فإن ما ورد في طهارة أجسادهم الشريفة يُحمل على طهارتها من جميع الجهات، الظاهرية والباطنية، إذ لا يختص الأمر بظاهر الجسد فحسب، لكونه طاهرًا في سائر المسلمين أيضًا، بل يمتد ليشمل جميع مراتب وجودهم. (الأنصاري، 1418هـ، صفحة 89).

لذلك تُعد قضية سد الأبواب في المسجد النبوي هي أفضل شاهد على طهارتهم الظاهرية والباطنية. وفي كلام العلامة الأميني، نجد تلميحًا مهمًا لهذه المسألة. يبدو أنه يرى أن إغلاق الأبواب المفتوحة للمسجد كان بهدف الحفاظ على طهارته، سواء من ناحية الأشياء الظاهرة أو المعنوية. الفكرة هي ألا يمر أحد في حالة جنابة داخل المسجد، ولا يحدث شيء يسيء إلى قدسيته. أما استثناء باب النبي (صلى الله عليه وآله) وباب أمير المؤمنين (عليه السلام)، فله علاقة بطهارتهما الكاملة من كل دنس أو رجس. هذا يستند إلى آية التطهير التي تشير إلى نقائهما الخاص. ولهذا السبب، لا تنطبق عليهما القواعد نفسها التي تنطبق على باقي الأبواب، حتى وإن كان الشخص جنبًا. (الأميني، صفحة 3/222).

المبحث الثالث

مواقف وأحداث مرتبطة بالسيدة الزهراء (عليها السلام)

المطلب الاول : فدك في ضوء مطالبة الزهراء عليها السلام.

قال تعالى : "وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". الانفال : 41 .

في بعض الروايات عن الزهري، يُقال إن فاطمة والعباس ذهبوا إلى أبي بكر يطالبون بحصتهم من ممتلكات فدك وخيبر. حينها، نقل عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: "نحن الأنبياء لا نترك ميراثًا، ما نتركه هو صدقة". بعد سماع ذلك، انصرفا. (الثعلبي، 1422هـ، صفحة 4/395).

تقول بعض الروايات عن عائشة بنت أبي بكر إن فاطمة والعباس، ذهبوا إلى أبي بكر يطالبونه بحقهم في ميراث النبي محمد، خاصة فيما يتعلق بأرض فذك وحصة خبير. لكن أبي بكر استند إلى كلام النبي، حيث قال: "لا نورث، ما تركنا صدقة، وإنما يأكل آل محمد من هذا المال". حسب ما ورد، كان أبو بكر متمسكاً بتطبيق ما رآه من سيرة النبي في هذا الموضوع. ومن هنا، تقول الرواية إن هذا الأمر سبب توتراً وخلاًفاً بين فاطمة وأبي بكر، استمر حتى وفاة فاطمة. (البخاري، الطبعة: الخامسة، 1414 هـ، صفحة ٢٤٧٤/6).

وليس بخافٍ على ذوي البصائر أن ما نسب في هذا الباب من حديث، لا يعدو أن يكون محالاً اخترعوه لئيسقطوا به حق السيدة الزهراء فاطمة عليها السلام في إرث أبيها، وإلا فكتاب الله الذي بين أيديهم ناطق بخلاف ذلك، إذ يقول تعالى: "وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ"، ويذكر قول زكريا: "فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْتِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ"، فأبي وجه لهم في إنكار ما أثبتته الله في محكم تنزيله؟! وكيف استجازوا لأنفسهم أن يخالفوا نصوص الكتاب والسنة بهذا القدر من المكابرة؟

ومن العجيب أيضاً أن القرآن نفسه قد نصّ على فضل أهل البيت بقوله تعالى: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا"، وقد اتفق المسلمون جميعاً على أن فاطمة عليها السلام داخلة في هذا الخطاب. ومن المعلوم لكل ذي عقل أن هذه الآية تقتضي عصمتها من الرجس، وإلا لانتفى اختصاصها وأهل بيتها بهذه المزية، لأن الله تعالى قد أراد الطهارة لعباده كافة، لكن التطهير الخاص لأهل البيت هو تشريف إلهي لا يلحق به سائر الناس.

ومن النصوص الدالة على عظيم منزلتها ما نُقل عن النبي (صلى الله عليه وآله) في حق فاطمة الزهراء: "من أغضبها فقد أغضبني، ومن آذاها فقد آذاني"، حيث يفهم منه ارتباط مكانتها بمقام النبي (صلى الله عليه وآله)، وقد استُفيد من ذلك - في بعض وجوه الاستدلال - ما يشير إلى تنزّهاها عن موارد المؤاخدة أو العتاب.

وزيادة على ذلك، فقد نقلت كتب المذاهب الأربعة وغيرها روايات صريحة في أن فاطمة عليها السلام أفضل من مريم بنت عمران، مع أن الله سبحانه قال عن مريم: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ"، فكيف بمن فاقت مريم مكانة وفضلاً عند الله ورسوله؟

وقال ابن أبي الحديد: "إنّ المشهور أنه لم يرو حديث انتفاء الإرث إلا أبو بكر وحده" (الحديد، 1404هـ، صفحة 221/16) وقال أيضاً، ذكر ذلك أعظم المحدثين حتى أن الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم في الخبر برواية الصحابي الواحد. وقال شيخنا أبو علي: "لا تقبل في الرواية إلا رواية اثنين كالشهادة، فخالفه المتكلمون والفقهاء كلهم، واحتجوا عليه". (الحديد، 1404هـ، صفحة 227/16)

وهناك رد للشيرازي وبالطبع فإن هذا الحديث فيه مجال للنقد والظعن من جهات متعددة ، إلا أننا نقتصر في هذا التفسير على ذكر ما يلي :

1- طرح في هذا السياق وجه من وجوه المناقشة، يرتبط بمدى انسجام هذا الحديث مع نصوص القرآن الكريم، وذلك استناداً إلى ما تقرره بعض القواعد الأصولية من أن الحديث إذا لم يوافق كتاب الله لا يُعَوَّل عليه في مقام الاستدلال.

وفي ضوء ذلك، يُستأنس ببعض الآيات القرآنية، من قبيل قوله تعالى: "وورث سليمان داود"، حيث يُفهم من إطلاقها شمول الإرث لمختلف جهاته، بما في ذلك الجوانب المالية. وكذلك قوله تعالى في سياق دعاء زكريا (عليه السلام): "يرثني ويرث من آل يعقوب" (مريم: 6)، وقد ذهب جمع من المفسرين إلى حمل الإرث هنا - ولو في بعض وجوهه - على المعنى المالي.

كما يُلاحظ أن ظاهر آيات الإرث في القرآن يتسم بالعموم والشمول لمختلف الموارد، وهو ما دعا بعض المفسرين، كـ القرطبي، إلى توجيه الحديث بنحو لا يفيد العموم المطلق، بل يُحمل على الغالب، مشبهاً ذلك بما يُستعمل من عبارات عرفية لا يُراد بها الاستغراق الحقيقي، من قبيل قولهم: "إننا - معشر العرب - أقرى الناس للضيف"، مع وضوح عدم شمول هذا الحكم لكل الأفراد على نحو تام. (القرطبي، الطبعة: الثانية، 1384 هـ ، صفحة 164 ج13)

إلا أن من الواضح أن هذا الكلام ينفي "قيمة هذا الحديث . . . " لأننا إذا توسلنا بهذا العذر في شأن سليمان ويحيى ، فإن شموله للموارد الأخرى غير قطعي أيضاً .

2 - إن الرواية المتقدمة تعارض رواية أخرى تدل على أن أبا بكر صمم على إعادة فدك إلى فاطمة (عليها السلام) ، إلا أن الآخرين ما نعوه ، كما نقرأ في سيرة الحلبي : إن فاطمة قالت له : من يرثك ؟ ! قال أهلي وولدي ! فقالت : فما لي لا أرث أبي ؟ . وفي كلام سبط بن الجوزي : إنه كتب لها بفدك ودخل عليه عمر فقال : ما هذا ؟ فقال : كتاب كتبت لفاطمة بميراثها من أبيها . فقال : فماذا تتفق على المسلمين ، وقد حاربك العرب كما ترى ؟ ثم أخذ عمر الكتاب فشقه (الحلبي، الطبعة: الثانية - 1427 هـ صفحة 512 ج3). يتضح من النصوص أنه رغم صراحة موقف النبي (صلى الله عليه وآله) في مسألة الإرث، فقد خالف بعض الفاعلين هذا التوجيه. ويُلاحظ كذلك أن عمر لم يستند في موقفه إلى الاعتبارات العسكرية أو حاجة المعارك، كما لم يعتمد على الروايات الموثقة المتعلقة بالموضوع، مما يسلط الضوء على الأبعاد السياسية التي كانت تلعب دوراً بارزاً في تلك الفترة.

إن التحقيق الدقيق - في الروايات الآتية - يدل على أن الموضوع لم يكن موضوع نهى النبي عن الإرث ، كما أثاره أبو بكر ، بل المهم هنا المسائل السياسية آنذاك ، وهذه المسائل هي ما تدعونا إلى أن نتذكر مقالة ابن أبي الحديد المعتزلي إذ يقول : سألت أستاذي علي بن الفارقي : "أكانت فاطمة ، صادقة ؟

فقال : نعم . قلت : فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة ؟ يقول : المعتزلي : فتبسم أستاذي ، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسنًا مع ناموسه وحرمة وقلة دعابته ، قال : لو أعطاه اليوم فدكا بمجرد دعواها ، لجاءت إليه غدا وادعت لزوجها الخلافة ولم يمكنه الاعتذار بشئ لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقة فيما تدعى كائنًا ما كان من غير حاجة إلى بينة ولا شهود" . (الحديد، 1404هـ، صفحة 284 ج16) .

المطلب الثاني : آخر عهد النبي وأول لقائه بالزهرء عليها السلام

"أَذْهَبَ تَمَّ طَبِيبُكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ أَلَدُنَّ يَا وَاسَّ تَمَّ تَعَّ تَمَّ بِهَا " الأحقاف : 20 .

يروى الثعلبي عن ثوبان، وهو من خدم النبي (صلى الله عليه وآله)، أن النبي عندما كان يسافر، كان دائماً آخر من يودع أهله، وعندما يعود كان أول من يلتقي به هي فاطمة (عليها السلام). (الثعلبي، 1422هـ، صفحة ج13/9).

تشير بعض المصادر إلى أن العلاقة بين النبي (صلى الله عليه وآله) وابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت متبادلة وعميقة، قائمة على المودة والاهتمام المتبادل. (شيرازي، الطبعة : الأولى / 1424 هـ . ق، صفحة 51) .

ومن بين الروايات المتعلقة بهذه العلاقة، ما ورد في سياق غزوة أحد عن سهل بن سعد، حيث يُذكر: جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وكسرت ربايته وهشمت البيضة على رأسه فكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تغسل الدم وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة ، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم". (مسلم النيسابوري، 1374 هـ، صفحة ج1416/3 برقم 1790)

تُظهر هذه الحادثة أن العلاقة بين النبي ﷺ وابنته فاطمة الزهراء عليها السلام كانت علاقة قائمة على المحبة والرعاية المتبادلة، حيث تجسدت عاطفة الابنة تجاه أبيها في أشد المواقف صعوبة. كما تكشف الرواية عن مكانة فاطمة عليها السلام ودورها العملي والإنساني في نصرته أبيها، وأنها لم تكن بعيدة عن ميادين الابتلاء والجهاد. وتبرز كذلك أن أهل البيت كانوا سنّاً حقيقياً للرسول ﷺ في حياته، وهو ما يعكس القرب الروحي والعملي بينهم، ويؤسس لفهم خصوصية مكانتهم في الإسلام.

المطلب الثالث : موقف الثعلبي من شمول علي وفاطمة والحسين (عليهم السلام) بآية التطهير

"إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ آلِ أَبِي تٍ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً" الأحزاب: 33.

بعد أن ذكر الثعلبي الخلاف بين العلماء في المقصود بأهل البيت فقد اختلفت أنظار العلماء:

1- . بعض العلماء حصر أهل البيت في بني هاشم جميعاً (الثعلبي، 1422هـ، صفحة 44/8).

2- بعضهم أطلق الوصف على أسرة النبي مطلقاً (الأصفهاني، الطبعة: الأولى - 1412 هـ، صفحة 96).

3- آخرون قالوا قبيلته (الفيروزآبادي، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ، صفحة 440).

4- وقيل هم من شملهم حكم تحريم الصدقة: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس (مسلم النيسابوري، 1374 هـ، صفحة برقم 1873/4).

"كما ورد عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً" وقال إنه نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة". (الطبري، الطبعة: الأولى، 1422 هـ صفحة ج267/20)

وقال الثعلبي بحذف الإسناد عن أبي سعيد الخدري: "نزلت هذه الآية في رسول الله وعلي وحسن وحسين وفاطمة: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً". (الثعلبي، 1422 هـ، صفحة ج43/8).

كما روي عن أم سلمة أنها ذكرت "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيتها، وأدخلت عليه فاطمة بعصيدة الحريرة، فجاء علي وحسن وحسين فجلسوا يأكلون، فقالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم ألقى بيده إلى السماء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً". (الثعلبي، 1422 هـ، صفحة ج43/8).

وقد وردت روايات متعددة من طرق الفريقين - السنة والشيعة - دلالة على عدم دخول النساء في أهل البيت المذكورين، لأن الآية خصت بخمسة فقط، واستدلَّت الشيعة على اختصاص الآية بأصحاب الكساء الخمسة عليهم السلام بوجهين:

1. أداة الحصر "إنما" تفيد إثبات الحكم لهم ونفيه عن سواهم.

2. إرادة الله في الآية ليست إرادة عامة، بل إرادة خاصة يترتب عليها التطهير وإذهاب الرجس، وهو ما يقتضي العصمة، ولا تثبت لغير هؤلاء الخمسة.

وقال الكاشاني: "إن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم، فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه، والقرآن مليء بذلك. كذلك كلام العرب وأشعارهم". (الكاشاني، الطبعة: الأولى 1423 هـ، صفحة ج373/5).

وبالمقابل، ذكر البيضاوي في تفسيره: "تخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما، لما روي عن دخولهم عليه مع الكساء، والاحتجاج بذلك على عصمتهم ضعيف، لأن التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها. الحديث يقتضي أنهم أهل البيت، لا أنه ليس غيرهم". (البيضاوي، الطبعة: الأولى - 1418 هـ، صفحة ج231/4).

ويبدو أن هذا القول صادر من غير تدقيق كافٍ في سياق النصوص، إذ يتسم بنزعة اعتراضية أكثر من كونه استدلالاً علمياً منضبطاً.

الخاتمة

توصل البحث إلى جملة من النتائج، يمكن إجمال أبرزها في النقاط الآتية:

1. كشف تفسير الثعلبي حضور لافت لدور السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في ضوء مجموعة من المرويات التفسيرية التي ربطتها بفضائل ومناقب شتى، وفي مقدمتها ما يتصل بالرزق والبركة والإيثار، وهو ما يجعل حضورها في هذا التفسير ذا طابع محوري في تشكيل الجانب الروحي والقيمي للرواية التفسيرية.

2. تبين الروايات الواردة في شأن أهل بيت الزهراء (عليها السلام) أن فضلها لم يكن محصوراً في ذاتها، بل تعداه ليشمل بيت النبوة ومقام أهل البيت على نحو عام، إذ أورد الثعلبي نصوصاً تتعلق بفضل بيت علي وفاطمة وما يكتنفهما من نور وإشراق، إضافة إلى نصوص أخرى اختصت ببيان طهارتهما ومكانتهما.

3. ظهرت قيم الإيثار والتضحية والبذل كأبرز المعالم التي اتسمت بها شخصية السيدة الزهراء (عليها السلام) وأهل بيتها، ويظهر ذلك بوضوح في المرويات المتعلقة بآيات سورة الإنسان، إذ اقترن تقديم الطعام للمحتاجين بالصبر والإيثار وطلب رضا الله. كما أوضحت الدراسة وجود جدل حديثي وتفسيري حول جانب من هذه الروايات، وهو ما يدل على ضرورة إخضاع الروايات التفسيرية للفحص النقدي من حيث السند والدلالة معاً.

4. بيّنت الدراسة أن تفسير الآيات الخاصة بالسيدة الزهراء عليها السلام، وبالأخص ما يتعلق بقضية فذك وآية التطهير، قد شهد اتجاهات متعددة؛ فقد أورد الثعلبي جملة من الروايات والأقوال المتنوعة، ونقل خلاف العلماء حول المقصود بأهل البيت، غير أنه أورد رواية واضحة الدلالة على أن آية التطهير نزلت في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. ومن هنا تظهر ضرورة اعتماد منهج مقارن عند تناول المرويات التفسيرية، وعدم الاكتفاء برواية واحدة.

5. يستفاد من مجمل الأبحاث أن عماد منهج الثعلبي في كتابه الكشف والبيان هو الاعتماد على الرواية والتفسير المأثور، مع إتاحة مساحة للرأي والاجتهاد. وقد أسفر هذا التوجه عن حشد مجموعة كبيرة من المرويات في مناقب أهل البيت والسيدة الزهراء عليها السلام. بيد أن هذا المنهج ذاته يفرض تعاملًا نقدياً مع المادة الروائية؛ لأن الثعلبي ذكر جملة من الأخبار من غير أن يشفعها بتعليق واف يدل على

صحتها أو ضعفها. ومن هنا تبرز الحاجة إلى درس الإسناد والدلالة والسياق التفسيري بوصفها متطلبا لا غنى عنه للوصول إلى أحكام أكثر دقة في تقويم مروياته.

المراجع

- ابن أبي الحديد. (1404هـ). شرح نهج البلاغة. قم - إيران: دار إحياء الكتب العربية.
- ابن طاوس. (1399هـ). الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف. قم: الخيام.
- أبو أسحاق أحمد بن محمد إبراهيم الثعلبي. (1422هـ). الكشف والبيان. بيروت لبنان: إحياء التراث العربي.
- أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب ابن قنفذ القسطنطيني. (1403هـ). الوفيات. القاهرة.
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. (الطبعة: الثانية، 1420 هـ). تفسير القرآن العظيم. الرياض - السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي. (1415هـ). بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي. (الطبعة: الأولى، 1415 هـ). روح المعاني. بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. (الطبعة: الأولى - 1412 هـ). المفردات في غريب القرآن. دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية .
- أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. (1424هـ). السنن الكبرى. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. (الطبعة: الأولى، 1422 هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. القاهرة، مصر: دار هجر.
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. (الطبعة: الخامسة، 1414 هـ). صحيح البخاري. دمشق: (دار ابن كثير، دار اليمامة).
- أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. (الطبعة: الثانية، 1384 هـ). الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية .
- أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي. (بلا تاريخ). كشف الغمة في معرفة الأئمة. بيروت - لبنان: دار الأضواء.
- أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي. (بلا تاريخ). تهذيب الأحكام. هران بازار سلطاني: دار الكتب الإسلامية.
- أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي. (بلا تاريخ). من لا يحضره الفقيه. قم المقدسة: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.
- أحمد بن محمد ابن تيمية الحراني (ت728هـ) الحنبلي. (1406). منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الإمام أحمد بن حنبل. (الطبعة: الأولى، 1424هـ). مسند الإمام أحمد بن حنبل. مؤسسة الرسالة.

- الشيخ محمد حسن المظفر. (1380هـ). *دلائل الصدق لنهج الحق*. دمشق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث .
- بن الحجاج القشيري مسلم النيسابوري. (1374 هـ). *صحيح مسلم*. بيروت: مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ) الجوزي. (1386هـ). *الموضوعات*. المدينة المنورة: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية.
- طاهر محمود محمد يعقوب. (1475هـ). *اسباب الخطأ في التفسير*.
- عبد الحسين أحمد الأميني. (بلا تاريخ). *الغدير*. بيروت - لبنان: دار الكتاب العربي.
- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي. (1396هـ). *طبقات المفسرين العشرين*. بيروت: صادر.
- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. (1431 هـ). *النور المنثور*. بيروت: دار الفكر.
- عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني. (1382هـ). *الانساب*. حيدر اباد الركن: مجلس دار المعارف الإسلامية.
- عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني. (1411هـ). *شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت*. طهران: إحياء الثقافة الإسلامية.
- علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي. (1405هـ). *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال*. مؤسسة الرسالة.
- علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي. (الطبعة: الثانية - 1427هـ). *السيرة الحلبية*. بيروت: دار الكتب العلمية.
- علي بن محمد بن محمد بن الطيب ، المعروف بابن المغازلي. (1424هـ). *مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه*. صنعاء: دار الآثار .
- فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني. (الطبعة : الأولى 1423 هـ). *زبدة التفاسير*. قم: مؤسسة المعارف الإسلامية.
- لمولى محمد علي بن أحمد القراچه داغي الأنصاري. (1418هـ). *اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء*. ايران قم: دفتر نشر الهادي.
- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. (الطبعة: الثامنة، 1426 هـ). *القاموس المحيط*. بيروت - لبنان: مؤسسة الرسالة .
- محمد بن القتال (508هـ) النيسابوري. (بلا تاريخ). *روضة الواعظين*. قم: ايران.
- محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي. (1431هـ). *نوار الأصول في أحاديث الرسول*. بيروت: دار الجيل.
- محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري. (الطبعة: الثالثة 1407 هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. القاهرة: دار الريان للتراث.
- ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي. (الطبعة: الأولى - 1418 هـ). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل* . بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ناصر مكارم شيرازي. (الطبعة : الأولى / 1424 هـ . ق). *الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين*. قم ، شارع الشهداء: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.
- ياقوت الحموي. (1411هـ). *معجم الأدباء* . بيروت.